٢

تهيئة الجو الإيمانى للأبناء بالمنزل

- اختيار الزوجين على أساس الدين.
- طيب المطعم وأثره فى صلاح الأبناء.
- تحصينات الطفل قبل مجيئه.
- تعويذ المولود عند ولادته.
- تطبيق تعاليم الدين فى التعاملات الأسرية.

الفصل الثانى
تهيئة الجو الإيمانى للأبناء بالمنزل

مقدمة:

الأسرة هى أول وأهم مؤسسة تربوية تتلقى الطفل وتوليه رعايتها واهتمامها، تنشئه على خصالها، وتطبعه بطباعها... فتخرج الشجرة الطيبة ثمرة طيبة، بإذن ربها، وتخرج الشجرة الخبيثة ثمرة خبيثة، بل كما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾(الأعراف:٥٨).

فيتوقف طيب الثمرة على طيب الشجرة، بل وعلى طيب التربة والبيئة التى تنمو فيها تلك الشجرة... وطيب الأصل وصلاحه أساس لطيب الفرع وصلاحه... ونقاء الجو الأسرى وملؤه بالتقوى والإيمان أصل لتربية الأبناء على التقوى والإيمان.

ولعل سؤالًا يطرح نفسه الآن: ما التربة الصالحة والبيئة المناسبة ليتم اختيارها وتهيئتها لتبذر فيها بذور التربية الروحية السليمة للأبناء؟

والإجابة تعنى تهيئة الجو الإيمانى بالمنزل، قبل مجئ المولود، وعند مجيئه وبعده، ليجد التربة الخصبة والبيئة المناسبة لنموه الروحى... ويقتضى هذا عدة أمور، لعل من أبرزها:

- اختيار الزوجين على أساس الدين.
- طيب المطعم وأثره فى صلاح الأبناء.
- تحصينات الطفل قبل مجيئه.
- تعويذ المولود عند ولادته.
- تطبيق تعاليم الدين فى التعاملات الأسرية.

أولاً: اختيار الزوجين على أساس الدين:

تقتضى سلامة الحياة الأسرية- أول ما تقتضى- سلامة الاختيار لدعامتى تلك الحياة، وهما الزوجان... فيحسن الزوج الاختيار عند الزواج، فينتقى الزوجة الصالحة ذات الدين فإنها ستكون أمًا لأولاده... وبها يتأثر أولادها، وبصلاحها بإذن الله يصلحون؛ لذلك قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾(البقرة:٢٢١). وقال رسول الله ﷺ، كما فى الصحيحين فيما رواه أبو هريرة: (فاظفر بذات الدين تربت يداك)[١٧].

والأم الصالحة تعلم أولادها القرآن الكريم، وتعلمهم أحاديث رسول الله ﷺ، وتقص عليهم سير الأنبياء وأهل التقوى والصلاح، وتعلمهم مكارم الأخلاق وتعلمهم الحلال والحرام... وتعلمهم كل ما يرقى بهم خلقيًّا ويسمو بهم روحيًّا.

وكذلك- فى المقابل- تختار الزوجة زوجًا صالحًا ليكون أبًا صالحًا لأبنائها، تتوافر فيه الصفات السابقة، من دين وحسن خلق، امتثالًا لتوجيهات المصطفى ﷺ حيث يقول: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه)[١٨]. وقوله ﷺ: (من ترضون دينه) لأن الدين مدار أداء الحقوق، (وخلقه) لأن الخلق مدار تحسين المعاش.

ذلك الزوج الذى يخشى الله تعالى ويطيع أوامره، وينتهى عن نواهيه؛ فإن خشية المرء لله تعالى تمنعه من الظلم والتعدى والاستهانة بزوجته، فإذا أحب المتدين زوجته أكرمها، وإذا كانت سيئة تستحق البغض لم يظلمها، وحاول بشتى الطرق إصلاحها، وكثيرًا ما ينجح فى ذلك، لأن الإنسان يحب أن يخضع لمن يحسن إليه ويعطف عليه[١٩]... فيكون بذلك زوجًا صالحًا وأبًا صالحًا، ومن ثم يشكل مع زوجته الصالحة بيئة صالحة لإنجاب ولتربية أبناء صالحين بإذن الله.

فبصلاح الأب- بإذن الله- يصلح الأبناء فى الغالب، بل ويعود عليهم وعلى أحفادهم فضل صلاحه، ألا تقرأ قول الحق تبارك وتعالى

بسورة الكهف: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾(الكهف:٨٢). فعناية الرحمن تحمى الأبناء لصلاح آبائهم، وما صلاح الآباء إلا بما لديهم من سمو روحى وحسن اتصال بالله.

وهكذا، فاختيار الزوجين كل منهما الآخر على أساس الدين، ضمان بإذن الله تعالى لصلاحهما، ومن ثم صلاح التربة التى سينبت فيها الأبناء وصلاح البيئة التى سينشئون فيها مستقبلًا... فطيب الثمرة إنما يتوقف على طيب الشجرة، بل وعلى طيب التربة وصلاح البيئة التى تنمو فيها تلك الشجرة... وطيب الأصل وصلاحه أساس لطيب الفرع وصلاحه... ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا...﴾(الأعراف:٥٨).

ثانيًا: طيب المطعم وأثره فى صلاح الأبناء:

إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(المؤمنون:٥١). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾(البقرة:١٧٢). وأمر سبحانه بالإنفاق من الطيب فى أى وجه من وجوه الإنفاق، سواء كان الإنفاق على الأولاد أو على غيرهم، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ...﴾(البقرة:٢٦٧). وطيب

المطعم والمشرب والملبس سبب فى استجابة الدعاء، والذى منه الدعاء للأولاد بالصلاح، وسبب فى أن يبارك الله فيهم، فالوالد إذا أدخل فى بيته المال الحرام فإنما يأكل هو وأولاده السحت، والرسول ﷺ يقول: (أيما لحم نبت من سحت فالنار أولى به)، وفى رواية: (إنه لا يربو لحم نبت من سحت، إلا كانت النار أولى به)[٢٠].

والوالد إذا أدخل بيته المال الحرام نزعت البركة من البيت ومن الزوجة ومن الأولاد... فإذا أراد أن يدعو لأولاده فلن يستجيب الله دعاءه، لقول النبى ﷺ فيما رواه أبو هريرة: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له)[٢١]... فالمال الحرام سبب- ونتيجة- للبعد عن الله، وسبب لحلول غضب الله، ولضعف الصلة بين العبد وربه.

فالله طيب ولا يقبل إلا طيبًا... روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا...)[٢٢]... فطيب المطعم سبب للقرب من الله ولقوة الصلة به سبحانه، وطيب مطعم الأبناء سبب فى قربهم من الله وقوة صلتهم به، وسبب فى سموهم الروحى وصلاح أحوالهم.

ثالثًا: تحصينات الطفل قبل مجيئه:

يقول الإسلام بتحصين الأبناء قبل مجيئهم إلى الحياة الدنيا، مثلما

يقول بتحصينهم عند وبعد مجيئهم إليها... فيقول بتحصين الآباء لأبنائهم قبل مجيئهم، متبعين فى ذلك ما سنه رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

فمن ذلك دعاء الزوج عند الدخول بزوجته (أم أطفاله مستقبلًا)... وذلك بأن يأخذ بناصيتها ويدعو بهذا الدعاء الوارد عن رسول الله ﷺ. فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبى ﷺ قال: (إذا تزوج أحدكم امرأة) أى عند الدخول بها (فليقل: اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلتها عليه)[٢٣]، وجبلتها عليه: أى خلقتها وطبعتها عليه من الأخلاق.

وعند الجماع، يسن له أن يقول: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فروى ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال: (أما لو أن أحدكم يقول حين يأتى أهله: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما فى ذلك، أو قضى ولد، لم يضره الشيطان أبدًا)[٢٤].

وفى التحصين المسبق للطفل من الشيطان، وقاية له من شروره، وسبب فى البعد عنه، ومن ثم سبب فى القرب من الله عز وجل، وسلامة طريق السمو الروحى.

رابعًا: تعويذ المولود عند ولادته:

يقول الإسلام بتعويذ المولود من الشيطان الرجيم عند ولادته. فيعوذ الوالدان مولودهما حين ولادته بالله من الشيطان الرجيم، امتثالًا لتوجيهات الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز، وتمسكًا بسنة نبيه علية السلام.

فجاء بالقرآن الكريم، على لسان امرأة عمران عندما وضعت مريم عليها السلام، قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾(آل عمران:٣٥-٣٦). وفى قولها أعيذها بك، أى أجيرها بحفظك وأحصنها وذريتها من الشيطان الرجيم، من همزه ووسوسته ومن مسه وأذاه.

وتبعًا لما جاء بسنة رسول الله ﷺ، يستحب التأذين فى أذن المولود بعد ولادته... لفعل النبى ﷺ فيما رواه أبو رافع ﷺ قال: رأيت النبى ﷺ أذن بالصلاة فى أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة[٢٥]. وأذن بالصلاة أى بأذان الصلاة.

ويستحب التأذين فى أذن المولود عند ولادته، وذلك لعدة أمور:

- لكى يكون أول ما يقرع سمعه كلمات التوحيد وشعار الإسلام.
- وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به، وإن لم يدركه.
- هروب الشيطان من كلمات الأذان، لأن الشيطان يترصده عند ولادته.
- فيه معنى من معانى انتصار الإنسان على الشيطان.
- فيه إشارة إلى أن وظيفة المسلم فى الحياة هى الدعوة إلى الله[٢٦].
- فيه التأسى والاقتداء برسول الله ﷺ وإحياء سنته.
- فيه الامتثال لأمر الله وطاعته سبحانه، بالتأسى برسول الله ﷺ، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب:٢١).

خامسًا: تطبيق تعاليم الدين فى التعاملات الأسرية:

لعل من أفضل الآثار الطيبة التى يقوم بها الوالدان من أعمال صالحة على تربية أولادهما تأسى الأولاد بهما فى تلك الأعمال... فمن أنسب أساليب تربية الأبناء وأعظمها أثرًا التربية بالقدوة، حيث يرى الأبناء آباءهم- فى هذا المقام- قدوة فى التقوى والاستقامة والصلاح، وقدوة فى سموهم الروحى؛ لأن الولد ينظر إلى والده على أنه مثله الأعلى، فهو يحاكى فعله ويقلد سلوكه...

فالولد الذى يرى أباه دائم الذكر ودائم التهليل والتحميد والتسبيح والتكبير يلتقط من قوله لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، واستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله... وهذا بخلاف الطفل الذى يرى ويسمع من والده ما يغضب الله، فى قوله أو عمله، ويسمع منه الشتائم وسب الملة وسب الدين.

وكذلك الولد الذى يرى أباه يصوم الإثنين والخميس، ويشهد الجمع والجماعات، ويحضر المساجد، ليس كالولد الذى يرى أباه فى المسارح والملاهى والسينمات... فيقتبس هذا من سمو والده الروحى ومن قربه إلى الله، ويرتكس الآخر من ارتكاسة والده وبعده عن صراط الله المستقيم.

والولد الذى يرى والده يلقى تحية الإسلام على أهله وأولاده بقوله: السلام عليكم، متى دخل البيت عليهم، امتثالًا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾(النور:٦١). الولد الذى يرى هذا، ليس كالولد الذى يرى والده يلقى عليهم تحيات مثل: صباح الخير، مساء الخير، سعيدة، هاى، باى، باى باى،... إلخ.

وترى الابن الذى يسمع القرآن يردد القرآن. والابن الذى يسمع الأذان كثيرًا يردد الأذان. والابن الذى يسمع أباه يغنى ويسب ويلعن

يردد هو الآخر الأغانى والسب واللعن على الدوام... فيتأسى هذا بوالده، ويتأسى هذا بوالده، وشتان بين هذا وذاك فى سموهما الروحى، وفى قربهما من الله.

وكذلك الولد الذى يرسله أبوه ليلًا بالصدقات إلى الفقراء سرًا فى بيوتهم، يختلف عن الولد الذى يرسله أبوه ليلًا لشراء السجائر والمخدرات، وشتان بين هذا وذاك فى صلتهما بالله وفى قربهما منه.

وإذا كان الرجل دائم البر لأبويه، يتفقد أحوال والديه ويطمئن عليهما ويسد حاجتيهما، ويكثر من دعائه لهما ومن قول رب اغفر لى ولوالدى، ويقول دائمًا رب ارحمهما كما ربيانى صغيرًا... فإذا رأى الابن من أبويه هذه الأخلاق فإنه بإذن الله يقتبس من هذه الأخلاق، ويفعل بها ما رآهما يفعلان مع الآباء.

والابن الذى يعلمه أبواه الصلاة والصيام والذكر والدعاء... ليس كالابن الذى يدربه أبواه أو يسمحا له بالأغانى وبمشاهدة الأفلام والمسلسلات وسماع الأغانى والموسيقى...

وكذلك الفتاة التى ترى أمها دائمًا فى حجابها عن الرجال الأجانب مستترة منهم، قد غمرها الحياء، وكساها الوقار، وعلتها العفة والطهارة، تتعلم من أمها الحياء والوقار والعفة والطهارة كذلك... أما الفتاة التى ترى أمها دومًا فى تبرج أمام الرجال، ودائمًا تصافح الرجال

الأجانب وتخالطهم وتجالسهم ودائمًا معهم فى ضحك وتبسم، بل وفى رقصات، تتعلم من أمها هى الأخرى كذلك[٢٧].

وهكذا، فاتق الله أيها الأب، واتق الله أيتها الأم، فى أبنائكما وبناتكما وكونا أسوة حسنة لهم فى التمسك بتعاليم الدين وفى حسن صلتكما بربكما سبحانه وتعالى... لأنه متى هيأ الوالدان لولدهما طريق الاتصال بالله، وحرصا على أن يرقى على درج السمو الروحى، سينمو بإذن الله روحيًّا ويرتقى.

هوامش الفصل الثانى

(١٧) أ- البخارى: **صحيح البخارى**، القاهرة، دار التقوى للتراث، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، حديث (٤٧٠٠). ب- مسلم: **صحيح مسلم**، المنصورة، مكتبة الإيمان، د.ت، حديث(١٤٦٦).

(١٨) الترمذى: **سنن الترمذى**، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبى، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، حديث(١٠٨٥).

(١٩) محمود المصرى: **الزواج الإسلامى السعيد**، القاهرة، مكتبة الصفا، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٣٢.

(٢٠) الترمذى (٦١٤).

(٢١) مسلم (١٠١٥).

(٢٢) مسلم (١٠١٥).

(٢٣) أبو داود: **سنن أبى داود**، شرح وتحقيق: السيد محمد سيد، عبد القادر عبد الخير، سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، حديث (٢١٦٠).

(٢٤) البخارى (٤٧٦٧)، مسلم (١٤٣٤)، أبو داود (٢١٦١)، الترمذى (١٠٩٢).

(٢٥) أبو داود (٥١٠٥)، الترمذى (١٥١٤).

(٢٦) محمود المصرى: مرجع سابق، ص٨٥٧.

(٢٧) مصطفى العدوى: **فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء**، المنصورة، دار ابن رجب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ص٢٦-٢٧.